

البرزخ في الفكر الصوّفيّ عند محيي الدّين ابن عربيّ

محمود نعامنة¹

Al-Barzakh in the Sufi Thought of Muhyī al-Dīn Ibn 'Arabī

Mahmuod Naamneh

Abstract

In Sufi thought, the concept of al-Barzakh [the isthmus] constitutes a complex dialectical issue within medieval Islamic Sufi literature. The Sufi mystic Muhyī al-Dīn Ibn 'Arabī engaged with this significant, controversial subject, endowing it with a profound philosophical dimension that diverges from the interpretations found in the writings of other medieval Muslim mystics. Indeed, the notion of al-Barzakh is one of the central tenets in the intellectual framework of the esteemed scholar Muhyī Al-Dīn Ibn 'Arabī. Through this concept, Ibn 'Arabī conveys that al-Barzakh [the isthmus] serves as an intermediary between the worlds; a notion associated with life, death, and the phenomena that exist in the interval between them.

Keywords: Barzakh, Spiritual Manifestations, Death, Afterlife, Sufi Thought, Medieval Islamic Literature

الملّخص

يعتبر البرزخ في الفكر الصوّفيّ مسألة جدليّة مركّبة؛ تناولتها المدوّنة الصّوفيّة الإسلاميّة في القرون الوسطى. وقد توقّف المتصوّف محيي الدّين ابن عربيّ عند هذه الجزئيّة السّجاليّة الهامّة، ومنحها بُعداً فلسفيّاً عميقاً يختلف عمّا جاء في مدوّنات المتصوّفة المسلمين في القرون الوسطى. يُعدّ مفهوم "البرزخ" من المفاهيم المركزيّة في فكر الشّيخ الأكبر محيي الدّين ابن عربيّ، ومن خلاله أشار ابن عربيّ إلى كون البرزخ واسطة بين العوالم؛ ومفهوم مرتبط بالحياة والموت وما بينهما. الكلمات المفتاحية: برزخ. واسطة بين العوالم. تجلّيات إلهيّة. الموت والقيامة. المعرفة الصّوفيّة.

¹ محاضر وباحث في قسم اللّغة العربيّة ودراسات الإسلام- الكلّيّة الأكاديميّة أحفا.

المُقدِّمة

يُعدّ محيي الدّين ابن عربيّ (558هـ/1165م-638هـ/1240م)² أحد أبرز المفكرين والمتصوّفة في التّاريخ الإسلاميّ، حيث قدّم رؤية فلسفيّة وروحانيّة عميقة حول مفاهيم الوجود والمعرفة والإلهيّات. ومن بين هذه المفاهيم، يحتلّ مفهوم "البرزخ" مكانةً مركزيّةً في فكره، إذ يمثّل الوسيط بين العوالم المختلفة ويُعدّ مفتاحاً لفهم طبيعة الوجود والوعي الروحيّ.

يُعدّ مفهوم "البرزخ" من المفاهيم الجوهريّة في الفكر الصّوّفيّ، حيث يتداخل فيه البعد الوجوديّ مع البعد الرّمزيّ والميتافيزيقيّ. ويحتلّ هذا المفهوم مكانةً مركزيّةً في تراث محيي الدّين ابن عربي، الذي صاغ رؤية ميتافيزيقيّة³ متكاملة للعالم من خلال ثنائيّة الحضور والغياب، الوحدة والكثرة، المطلق والمحدود⁴. يتناول هذا المقال تحليلاً لمفهوم "البرزخ" عند

² محيي الدّين بن عربيّ، محمّد بن علي بن محمّد بن أحمد بن عبد الله الحانقي، يعود في أصوله لقبيلة طيء العربيّة القديمة، يُكنّى بأبي بكر، ويُلقّب بابن عربي لدى أهل المشرق، نشأ بأجواء دينيّة محضة لوالد صوفي ولأمّ متعبّدة، دخل عالم الصّوفيّة، وكانت النّتيجة فكرًا عملاقاً يمتاز بكتابات صوفيّة ذات دلالات رمزيّة وسياقيّة عصيّة على التّأويل؛ وقد تطرّق ابن عربي لمواضيع فكريّة وفلسفيّة متنوّعة أخرى، كالذات والآخر، إثباتات وجود الله؛ قدم العالم، محبّة الله... للاستزادة راجع: غلاب، دت، 217-231؛ Pellat, 1971, 707-709. وانظر كتاب سير أعلام النّبلاء مادّة ابن عربي: الدّهبي، 2001، 48.

³ الرّؤية الميتافيزيقيّة للعالم (Metaphysical worldview) عبارة عن تصوّر للطّبيعة والواقع يتجاوز المادّة القائمة على أبعادها الثّلاثة؛ إلى الغيبيّات وما وراء الطّبيعة. من خلال هذا التّصوّر الفلسفيّ الذي بدأ في ملحمة جلجامش واستمرّ في الفلسفة اليونانيّة بعدها؛ وصولاً للفلسفة الإسلاميّة في القرون الوسطى؛ تمّ تناول أفكار مختلفة كأصل الوجود، والهدف من الخلق، ماهيّة الرّوح؛ فلسفة الزّمن... راجع في ذلك دراسة موسّعة حول الموضوع في: محمود، 1973.

⁴ الوحدة فكرة صوفيّة فلسفيّة تبحث في مدلولات وحدة الله. والكثرة في الاصطلاح الصّوّفيّ تعني تعدّد الأشكال على مستوى الحسّ والعقل لكن بالإشارة إلى صورة واحدة. والمطلق يعني وجود الله الأزليّ والأبديّ. والمحدود هو العالم المقيّد بالزمكانيّة. انظر هذه الاصطلاحات ودلالاتها في: مدخل إلى فكر ابن عربي، 2000، 222-224.

ابن عربيّ، من حيث تعريفه، تجلياته، دوره في الفهم الصوفيّ للوجود، وعلاقته بالعوالم المختلفة: الرّوحيّ، العقليّ، والحسيّ..

سؤال البحث:

ما هو البرزخ في الفكر الصوفيّ الخاصّ بابن عربيّ؛ وما هي مدلولاته المختلفة؟

فرضيّة البحث:

انطلق ابن عربيّ في نظريّته مفصّلاً لفلسفة البرزخ من خلال استعانته بالمفاهيم الدّينيّة الأساسيّة للبرزخ بدءاً من الطّرح القرآنيّ مُتجاوزاً ذلك ليمنح مفهوم البرزخ بُعداً ميتافيزيقياً وفلسفياً يتجاوز المعاني التّقليديّة، ليكون واسطة بين العوالم وسرّ من أسرار التّجلي الدّائم للخالق.

أهميّة البحث:

تكمن أهميّة هذا البحث في طرحه "لمعضلة" تأويليّة فلسفيّة في طرح الشّيخ الأكبر محيي الدين ابن عربيّ؛ تلك المعضلة التي شكّلت حاجزاً أمام دارسي الفكر الصوفيّ لصعوبة منطقيها وتركيبها. هذا البحث سيساهم في كشف تفاصيل جديدة في "جزئية" البرزخ في الطّرح الفلسفيّ الخاصّ بمحيي الدين ابن عربيّ.

منهج البحث:

تقضي منهجيّة هذا البحث في جمع ملخصات الدّراسات القليلة والتّادّرة التي طرحت موضوعه "البرزخ" في الفكر الصوفيّ الخاصّ بابن عربيّ، ومن ثمّ مقارنتها بالفكرة الأصليّة في كتابات ابن عربيّ وطرّح أفكار جديدة لم تُطرّح من قبل؛ ثمّ الخروج بفكرة جديدة قد تمتدّ مع سابقتها لكنّها تطرّح أفقاً جديداً للفكرة.

وضعية البحث- الدراسات التي ناقشت الموضوع

لقد تناولت بعض من المراجع موضوع "البرزخ في الفكر الصوفي"⁵ في أوراق بحث وكتب مختلفة. وقد تناولت الموضوع من زوايا مختلفة. ففي دراسته المعنونة بـ "دلالة الألفاظ في الكتابة الصوفية ورؤيا الحياء في برزخ الأحوال" للباحث شكيل عبد الحميد؛ والصادرة في دورية جسر/المعرفة؛ يتناول الباحث في دراسة تحليلية لغوية-صوفية وصفاً موسعاً لفهم دلالة اصطلاح البرزخ في الطرح الفكري لمحيي الدين ابن عربي. وقد ركّز الباحث على فكرة كون البرزخ حالة تحاول فهم دلالات الألفاظ الصوفية المستخدمة في وصف الحالة البرزخية، وتستكشف بالتحديد ما يُعرف بـ "ذاتية متجددة"، تنشأ بالاعتماد على التفاعل بين النصّ والإنسان- المتلقّي: هو حالة وسطى بين الرّوح والمادّة: بين الكلمة في اللّغة "روحانيّاً" وبين الإنسان الماديّ.

وتعتبر دراسة الباحث سلمان بشير أهمّ هذه المراجع الأجنبية التي تتناول مفهوم "البرزخ" عند محيي الدين ابن عربي:

1. Bashier, Salman H. (2004). *Ibn al-'Arabi's Barzakh: The Concept of the Limit and the Relationship between God and the World*. Albany: State University of New York Press.

⁵ يعود اهتمامي لدراسة التصوّف الإسلاميّ بشكل عام؛ ولموضوعه البرزخ بشكل خاصّ إلى عام 2004 حين كنت طالباً للقبين الأول والثاني في قسم اللّغة العربيّة وآدابها في جامعة حيفا؛ وكنت قد ركّزت اهتمامي في موضوعه التصوّف الإسلاميّ بعد دراستي لمساق "نصوص صوفية لابن عربي" لدى الدّكتور سلمان بشير المختصّ بالفلسفة الصّوفية والذي كتب في أطروحة الدّكتوراة الخاصّة به والتي قدّمها لجامعة هارفارد؛ عن الفكر الصّوفيّ لدى محيي الدين ابن عربي، وكتابه عن البرزخ في الفكر الصّوفيّ؛ والذي سنفضّله لاحقاً. وقد نتج عن هذا الاهتمام بدراسات التصوّف الإسلاميّ؛ رسالتي للماجستير و19 كتاباً وخمسين مقالاً ما بعد الدّكتوراة بالإضافة إلى عشرات المؤتمرات في الموضوع؛ وبشكل ذلك سبباً لاختيار موضوعه هذا البحث في مقالي هذا.

في كتابه هذا؛ يقدّم الباحث سلمان بشير دراسة تحليليّة عميقة حول مفهوم البرزخ عند ابن عربي من خلال دراسة شاملة تُعتبر الأكثر تفصيلاً في تناولها لفكرة البرزخ من بين المراجع.

2. Riis, James W. (1995). *The Reflective Heart: Discovering Spiritual Intelligence in Ibn Arabi's Meccan Illuminations*. Louisville: Fons Vitae.

يتناول هذا الباحث العلاقة بين القلب والخيال والبرزخ في كتابات ابن عربي؛ متطرقاً من خلالها لفلسفة البرزخ وبدايات الفكرة الدينيّة في المنظور القرآنيّ وبالتالي انتقال الفكرة إلى مصافي التّصوّف والفلسفات الإسلاميّة في القرون الوسطى.

3. Izutsu, Toshihiko. (1984). *Sufism and Taoism: A Comparative Study of Key Philosophical Concepts*. Berkeley: University of California Press.

يقارن هذا الباحث مفهوم البرزخ عند ابن عربي بالمفاهيم الفلسفيّة حيث يقدّم الباحث في الحضارة الإسلاميّة وعلوم القرآن مُقترحاً يبحث من خلاله مفهوم البرزخ بمقارنة هذا الطّرح مع أفكار فلسفيّة أخرى لمدارس فلسفيّة مختلفة.

4. Corbin, Henry. (1998). *Alone with the Alone: Creative Imagination in the Sufism of Ibn Arabi*. Princeton: Princeton University Press.

يستكشف هذا الباحث دور الخيال الإبداعيّ كوسيط برزخيّ في التّصوّف عند ابن عربي؛ يتعامل الباحث في دراسته هذه بمفاهيم روحيّة أكثر من أي دراسة أخرى متعاملاً مع التّصوّف بوصفه خيالياً جامعاً أقرب إلى الفانتازيا منه إلى العلوم الفلسفيّة العميقة.

5. Hirtenstein, Stephen. (1999). *The Unlimited Mercifier: The Spiritual Life and Thought of Ibn 'Arabi*. Oxford: Anqa Publishing.

في مبحثه أعلاه، يقدّم الباحث لمحة عامّة عن الحياة والفكر الرّوحيّ لابن عربي، مع تحليل لمفهوم البرزخ، ولكن لا يتعمّق بالقيمة التي تعمّقت فيها الدّراسات السّابقة.

6. Sells, Michael A. (1994). *Mystical Languages of Unsaying*. Chicago: University of Chicago Press.

يناقش الباحث في هذه الدراسة استخدام ابن عربي للغة في التعبير عن المفاهيم الميتافيزيقية مثل البرزخ. هذه المراجع تقدّم نظرة شاملة لمفهوم البرزخ عند ابن عربي، وتبرز دوره المركزي في فلسفته الصوفية.

يُعدُّ محيي الدين بن عربي من أبرز أعلام التصوف الإسلامي، وقد أثرى الفكر الصوفي بمؤلفات غنية تناولت موضوعات متعدّدة، من أبرزها اللغة ودورها في التعبير عن التجارب الروحية والمعرفية. يُلاحظ أن ابن عربي قدّم رؤية فريدة للغة، تتجاوز الاستخدام التقليدي للكلمات، لتصبح وسيلة للتواصل مع العوالم الروحية والكشف عن الحقائق الإلهية.

مفهوم اللغة عند ابن عربي:

يرى ابن عربي أنّ اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل البشري، بل هي أداة للتعبير عن الحقائق الإلهية والوجودية. يعتقد ابن عربي أنّ الكلمات والرموز تحمل معاني باطنية تتجاوز الدلالات الظاهرة⁶، وأنّ فهم هذه المعاني يتطلب تأويلاً عميقاً ورؤية صوفية. ففي كتابه

⁶ خصوصاً عندما يأتي الوارد؛ عندها تصبح اللغة المعبر عنها بفعل ذلك الوارد أداة للتعبير عن الحقائق الإلهية. والوارد "مصطلح صوفي شائع، والوارد حسب المعجم الصوفي، "ما يرد على القلوب في بداية الرحلة الصوفية" وهو الإشارة الإلهية التي تجلب الصوفي للانقطاع إلى الله والعزوف عن ملذات الدنيا؛ يقول الطوسي نقلاً عن ذي النون المصري: "وارد حقّ جاء يزعج القلوب"؛ انظر في ذلك: الطوسي، 1960، 419. أمّا القشيري صاحب الرسالة القشيرية في التصوف - وهي إحدى أهم المدونات الصوفية الإسلامية في القرون الوسطى - فيرى أنّ الوارد هو "اللامع" أو "الطالع" وهي إشارات غيبية يتلقاها العبد الصوفي فتجلب قلبه لله؛ يقول القشيري في ذلك، وبلغته الصوفية التي تتخذ طابع التركيب: "فهي تختلف في القضايا، فمنها ما إذا مات لم يبق عنه أثر، كالشوارق إذا أفلن، فكأنّ الليل كان دائماً، ومنها ما سيقى منه أثر، فإذا زال رقمه بقي ألمه، وإن غربت أنواره، بقيت آثاره، فصاحبه بعد سكون غلباته، يعيش في ضياء بركاته، فيلأ أن يلوح ثانياً يُرجى، ومنه على انتظار عوده، يعيش بما وجد في حين كونه"؛ انظر في هذا الباب: القشيري، 1995، 228.

الفتوحات المكية⁷، يشير إلى أنّ الحروف والأصوات لها دلالات كونية وروحية، وأنّها تشكّل أساساً لفهم الكون والعلاقة بين الخالق والمخلوق.

أولى ابن عربي اهتماماً خاصاً بالحروف العربية، مُعتبراً إيّاها رموزاً تحمل أسراراً إلهية. في الفصل 198 من *الفتوحات المكية*، يتناول مفهوم "نفس الرحمن" ويشرح كيف أنّ الحروف تشكّل اللبّات الأساسية للخلق والتجليّ الإلهي. يرى أنّ كلّ حرف له دلالة خاصة ويعكس جانباً من جوانب الوجود الإلهي. هذا الاهتمام بالحروف يُظهر تأثره بالعلوم الباطنية ويمثل جانباً من تفكيره الميتافيزيقي⁸.

اعتمد ابن عربي على التّأويل كمنهج لفهم التّصوص الدينيّة والكونيّة⁹. يرى أنّ اللّغة الصّوفية تتطلّب فهمًا يتجاوز الظّاهر إلى الباطن، وأنّ الكلمات تحمل معاني متعدّدة تعتمد على مستوى الإدراك الرّوحيّ للقارئ. هذا النّهج التّأويليّ يسمح بفهم أعمق للحقائق الرّوحية ويعكس الطّبيعة المتعدّدة الأبعاد للّغة عنده¹⁰.

⁷ انظر الكتاب في قائمة المصادر والمراجع.

⁸ Hartenstein, 1999, 15-40

⁹ يقول محيي الدين بن العربي في *الفتوحات المكية* في باب الاختلاف بين الكتابة الصّوفية والشّعروالقرآن: "فإنّ الحقّ تعالى، الذي نأخذ عنه العلوم، بخلو القلب عن الفكر، والاستعداد لقبول الواردات، هو الذي يعطينا الأمر على أصله، من غير إجمال ولا حيرة، فنعرف الحقائق على ما هي عليه، سواء أكانت الحقائق المفردات، أو الحقائق الحادثة بحدوث التّأليف، أو الحقائق الإلهية، ولا نمترى في شيء منها، فمن هناك هو علمنا، والحقّ - سبحانه - معلّمنا ورثاً نبويّاً محفوظاً، معصوماً من الخلل والإجمال والظّاهر، قال تعالى: "وما علّمناه الشّعروما ينبغي له"، فإنّ الشّعروما محل الإجمال والرّموز والألغاز والتّورية، أي ما رمزنا له شيئاً ولا لغزناه ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئاً آخر. ولا أجملنا له الخطاب "إن هو إلا ذكر"، لمّا شاهده حين جذبه وغيبناه عنه، وأحضرناه بنا عندنا، فلها سمعه وبصره ثمّ رددناه إليكم لتهدوا في ظلمات الجهل والكون، فكنا لسانه الذي يخاطبكم به، ثمّ أنزلنا عليه مذكراً ما شاهده، فهو ذكر له ذلك وقرآن، أي جمع أشياء كان شاهدها عندنا، فبين ظاهره لعلمه بأصل ما شاهده وعينه في ذلك التّقريب الأنزه الأقدس، الذي ينال فيه صلّى الله عليه وسلّم". انظر: ابن العربي، 1972، 264-265.

¹⁰ Chittick, 1989, 12-65.

بالرغم من إيمانه بقدرة اللغة على التعبير عن الحقائق الروحية، كان ابن عربي واعياً بحدودها. يشير إلى أن التجارب الصوفية العميقة قد تتجاوز ما يمكن التعبير عنه بالكلمات، وأن هناك جوانب من المعرفة الإلهية لا يمكن نقلها عبر اللغة البشرية. هذا الوعي بالحدود اللغوية يعكس فهمه العميق للطبيعة المزدوجة للغة كأداة للتواصل وكحاجز أمام بعض التجارب الروحية¹¹.

أسهمت أفكار ابن عربي في تطوير لغة صوفية غنية بالرموز والمعاني الباطنية. أثر نهجه في التأويل واستخدامه للرموز والحروف على العديد من المتصوفة اللاحقين، وساهم في تشكيل تقاليد صوفية تعتمد على اللغة كوسيلة للكشف والتعبير عن التجارب الروحية¹².

قدّم محيي الدين ابن عربي رؤية عميقة ومعقدة للغة، حيث اعتبرها وسيلة للتواصل مع العوالم الروحية والتعبير عن الحقائق الإلهية. من خلال اهتمامه بالرموز والحروف والتأويل، أسهم في تطوير نهج لغوي صوفي يركّز على المعاني الباطنية والرمزية، مما أثار الفكر الصوفي وأضاف أبعاداً جديدة لفهم العلاقة بين اللغة والروحانية.

مفهوم البرزخ في الفكر الإسلامي

يعود أصل مفهوم "البرزخ" في الفكر الإسلامي إلى القرآن الكريم، حيث ورد في سياقات متعددة، مثل قوله تعالى: (مَنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: 100)، مما يدل على الفاصل بين الحياة الدنيا والآخرة. كما ورد في قوله تعالى (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ)¹³ في إشارة إلى الحد الفاصل بين عالمين متداخلين¹⁴.

¹¹ راجع ملخص دراسة: بوجدية، 1997.

¹² لوري، 2001، 45-55.

¹³ القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية 19-20.

¹⁴ انظر: Hirtenstein, 1999, 12-45. ومبدأ "الوحدة والكثرة"، التي لطالما عالجها ابن عربي بمصطلحاته الميتافيزيقية، بالتمثيل والتشبيه بالمجازات المفارقة ممثلاً للفكرة، مُجتازاً طرائق شرح الفكرة، كالتجلي في

والبرزخ في اللغة هو الحاجز بين شيئين، وقد ورد في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة. أما عند ابن عربي، فالبرزخ ليس مجرد حاجز، بل هو واسطة وجسر معرفي بين العوالم، و"الشيء الذي لا يتصف لا بهذا ولا بذاك، أو يتّصف بهما معاً"¹⁵.

في الفتوحات المكيّة، يشير ابن عربي إلى أنّ البرزخ هو الكيان الذي يجمع بين الظاهر والباطن، ويمثّل موقع التجلّي الإلهي، أو ما يمكن تسميته بـ "المكان الوسط"، حيث يتلاقى المطلق بالمقيّد، والحق بالخلق¹⁶.

يُعدّ مفهوم "البرزخ" من المفاهيم المركزيّة في فكر الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي¹⁷، حيث يتناول هذا المصطلح بأبعاد متعدّدة تجمع بين الفلسفة والتصوّف والميتافيزيقا. يُعرّف البرزخ بأنّه الحاجز أو الفاصل بين شيئين، ويُستخدم في القرآن الكريم بمعنيين: الحاجز بين البحرين، والحاجز بين الدّنيا والآخرة. وقد استثمر ابن عربي هذا المفهوم ليشير إلى معاني أعمق تتعلّق بالوجود والمعرفة¹⁸.

البرزخ في فلسفة ابن عربي

يمنح ابن عربي مفهوم البرزخ بُعداً ميتافيزيقياً وفلسفياً يتجاوز المعاني التقليديّة، حيث يصفه بأنّه:

المرآة، والتخلّل والسريان والتعرّف، والله هو واحد في كثرة أو هو جامع لحقائق العالم المتفرقة، في باب الوحدة والكثرة انظر: Ashraf, 1973, 3.

¹⁵ ابن عربي 1972، 98.

¹⁶ ابن عربي، 1972، 98؛ وراجع: موريس، 2015، 64.

¹⁷ يعتمد ابن عربي إلى مقارنة مفاهيمه بناء على النّظر الفكريّ، فلا يخضع كتابته للتّنظيم المهجّي، الذي يُصادف لدى المتكلّمين والفلاسفة، وإنّما يحتكم في الغالب إلى تجربته الرّوحية، وترقّب كتاباته بما يرد عليه من أحوال ومقامات، وبذلك تكون نصوص ابن عربيّ مستعصية على التّأويل، وتفتح مسارات عديدة لقراءتها وتأويلها. انظر: بلقاسم، 2004، 19.

¹⁸ Bashier, 2004, 30-65.

1. واسطة بين العوالم:

البرزخ عند ابن عربي هو الحجاب الفاصل بين عالمي الوجود: الحسيّ والرّوحيّ، وهو ليس معدومًا تمامًا ولا موجودًا بشكل مستقل، بل هو حالة وسطى تجمع بين الصّفتين.

2. التجليات الإلهيّة والخلق المستمر:

يرى ابن عربي أنّ البرزخ هو المجال الذي يتم فيه تجلّي الأسماء والصّفات الإلهيّة، حيث أنّ الوجود كلّ قائم على هذا التّفاعل المستمر بين المطلق والمقيّد.

3. الخيال كجسر برزخيّ:

يعتبر ابن عربي "الخيال" تجليًا للبرزخ¹⁹، حيث يمثّل الوجود الخيالي وسطًا بين الوجود الحسيّ والوجود الرّوحيّ. في نظره، كل ما نراه في الأحلام والرّؤى هو "برزخيّ" بطبيعته، لأنّه لا ينتمي إلى الواقع المادي ولا إلى العدم المحض.

4. البرزخ والموت والقيامة:

في التّصوّر الصّوفيّ، البرزخ ليس فقط مرحلة بين الموت والبعث، بل هو مفهوم وجوديّ مستمر، حيث أنّ الإنسان دائمًا في حالة عبور بين مستويات الإدراك والوعي²⁰.

أبعاد البرزخ عند ابن عربي

البرزخ والمعرفة الصّوفيّة

يرتبط مفهوم البرزخ عند ابن عربي بالمعرفة الباطنيّة، حيث يمثّل المنطقة التي تتجاوز العقل المجرّد، وهو المجال الذي يتم فيه كشف الحجب عن الحقائق الرّوحيّة. فالتّجربة الصّوفيّة

¹⁹ الكثير من مداخلات ابن عربي قائمة على الخيال، فمثلاً نظريّة "توحّد الواحد في الكل"، أو "وحدة الوجود"، هي خيال يقوم على أنّ هذا العالم المختلف في أشكاله، ليس سوى مظاهر متعدّدة لحقيقة واحدة، هي الوجود الإلهي، ومن هذه النّظريّة تفرّقت جميع آراء ابن العربي وخیالاته، لأنّها في الحقيقة عقدة نظامه الصّوفي. راجع في ذلك: فروخ، 1989؛ وحول النّظريّة انظر: Elmore, 1998, 165- 166, 73.

²⁰ Hirtenstein, 1999, 12-45.

هي تجربة برزخيّة بامتياز، حيث يتمّ العبور من حالة الوعي العاديّ إلى حالة الوعي الرّوحيّ عبر مشاهدات وتجليات²¹.

البرزخ والعقل

في فكر ابن عربيّ، العقل البشريّ محدود بقدرته على استيعاب المطلق، ولذلك فإنّ البرزخ يمثل الحدّ الفاصل بين قدرة العقل المحدودة وبين الحقيقة المطلقة. وهنا يلعب الخيال دورًا محوريًا في الرّبط بين العقلائيّ والرّوحانيّ²².

البرزخ واللغة الرمزية

ابن عربيّ يستخدم لغة رمزية غنية تعتمد على مفهوم البرزخ لشرح الحقائق الصوفية. فالكلمات والصور والتجارب الحسية ليست سوى إشارات إلى معاني أعمق لا يمكن إدراكها إلا عبر البصيرة القلبية²³.

تطبيقات مفهوم البرزخ في التّصوّف

يظهر مفهوم البرزخ في كتابات ابن عربيّ، مثل *الفتوحات المكية* و*فصوص الحکم*، باعتباره أساسًا لفهم الوجود والتّجربة الصّوفيّة. ومن التّطبيقات العمليّة لهذا المفهوم:

- المعرفة الباطنيّة: حيث يستخدم الصوفيون مفهوم البرزخ لفهم كيفية تداخل العوالم الرّوحيّة والماديّة.
- التّأويل الرّمزي للنصوص الدّينيّة: إذ يقرأ ابن عربيّ الآيات القرآنيّة والأحاديث التّبويّة بطريقة تعتمد على فكرة الوساطة البرزخيّة.

²¹ Morris, 1995, 10-70.

²² Basheir, 2004, 20-120.

²³ Basheir, 2004, 20-120.

- التَّجربة الصَّوْفِيَّة: حيث يسعى المريد للوصول إلى حالة البرزخ التي تمكَّنه من تلقِّي الفيض الإلهيِّ والتَّواصل مع العوالم العليا²⁴.

البرزخ كحقيقة وجودية:

يرى ابن عربي أن البرزخ هو مرتبة تجمع بين طرفين متقابلين، مثل الخط الفاصل بين الظلِّ والشَّمس. هذا البرزخ ليس جزءًا من أيٍّ من الطَّرفين، بل هو حالة وسطى تجمع بين صفاتهما دون أن تكون منهما. يقول ابن عربي: "فحقيقة البرزخ أن لا يكون فيه برزخ... فيكون بذاته عين كلِّ ما يلتقي به فيُظهر الفصل بين الأشياء، والفاصل واحد العين²⁵."

الخيال والبرزخ:

يربط ابن عربي بين مفهوم البرزخ والخيال، حيث يعتبر الخيال برزخًا بين المعقول والمحسوس. فالخيال هو القوَّة التي تجسّد المعاني في صور محسوسة، وتلطّف المحسوسات لتصبح معقولة. يقول ابن عربي: "فإنَّ الكمال في البرازخ أظهر منه في غير البرازخ، لأنَّه يعطيك العلم بذاته وبغيره، وغير البرزخ يعطيك العلم بذاته لا غير، لأنَّ البرزخ مرآة للطَّرفين، فمن أبصره أبصر فيه الطَّرفين²⁶."

البرزخ في الحياة والموت:

يُستخدم مصطلح البرزخ أيضًا للإشارة إلى المرحلة الفاصلة بين الحياة الدنيا والآخرة. يرى ابن عربي أنَّ الموت ليس انقطاعًا تامًّا، بل انتقال من حالة إلى أخرى، حيث يعيش الميت في عالم برزخيٍّ يتفاعل فيه مع الصُّور والمعاني؛ يقول: "فالعموم عند كشف الغطاء بالموت

²⁴ Morris, 1995, 10-70.

²⁵ راجع ملخّص الدِّراسات التَّالية: كوربان، 2006، نصري، 2008. (كل صفحات الدِّراسة).

²⁶ Izutsu, 1984, 40-120.

وانتقالهم إلى البرزخ يكونون هنالك، مثل ما هم في الدّنيا في أجسامهم سواء، إلا أنّهم انتقلوا من حضرة إلى حضرة أو من حكم إلى حكم²⁷.

البرزخ والمعرفة

يعتبر ابن عربي أنّ البرزخ هو مجال المعرفة الحقيقية، حيث تتجلى فيه الحقائق بصورها الكاملة. فالخيال، كبرزخ، هو الوسيلة التي يتمكن الإنسان من خلالها من إدراك المعاني المجردة في صور محسوسة، مما يسهل عملية الفهم والتأمل. يقول: "فالخيال أوسع المعلومات، ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء، قد عجز عن أن يقبل المعاني المجردة عن المواد كما هي في ذاتها²⁸."

البرزخ كمنهج تحليلي

اعتمد ابن عربي على مفهوم البرزخ كأداة تحليلية لفهم العلاقات بين المتقابلات، مثل العلاقة بين الخالق والمخلوق²⁹، والروح والجسد. فالبرزخ هنا يعمل كوسيط يجمع بين الصّفات المتقابلة دون أن يذيب الفروق بينها، مما يسمح بفهم أعمق لطبيعة الوجود³⁰.

الإنسان الكامل كبرزخ

يرى ابن عربي أنّ الإنسان الكامل يمثّل البرزخ الأكمل، لأنّه جامع للحقائق كلّها: الإلهيّة، الكونيّة، والروحيّة. فهو صورة الحق في مرآة الخلق، وصورة الخلق في مرآة الحق. بهذا المعنى،

²⁷ انظر: حسين، 1996، 35-45.

²⁸ انظر: ابن عربي، 1985، 173، 537، 274؛ وقارن: ابن عربي، 1946-35-87؛ Corbin، 1998، 5-80.

²⁹ وهي علاقة عشق كما يسمّيها المتصوّفة، والعشق في الفكر الصوفيّ هو المحبّة، والمحبّة - كما تقول الصّوفيّة- هي الحال الثّالثة من الأحوال الصّوفيّة، وهي أساس كلّ الأحوال العالية وهي الإرادة، ومراد القوم من المحبّة ليس الإرادة، لأنّ الإرادة لا تتعلّق بالقديم (الله)؛ إلاّ إذا حملت على إرادة التقرب لله، أمّا محبّة الخالق لعبده، فهي إرادة نعم فالرحمة أخصّ من الإرادة، والمحبّة أخصّ من الرحمة. انظر، Lings، 50-45؛ Helminski، 1999، 52؛ 1975، 45-50.

³⁰ Sells، 1994، 20-65.

يكون الإنسان الكامل بمثابة المفتاح لفهم التّجليات الإلهيّة، لأنّه يقف في موضع التّوسّط بين الله والعالم³¹.

خاتمة

يشكّل البرزخ عند محيي الدّين ابن عربي مفهومًا جوهريًا لفهم الوجود، حيث يربط بين الظّاهر والباطن، وبين المعلوم والمجهول. إنّ استكشاف هذا المفهوم يفتح آفاقًا جديدة في فهم التّصوّف والفلسفة الإسلاميّة، ممّا يجعل فكر ابن عربي مرجعًا مهمًا في الدّراسات الرّوحيّة والفلسفيّة.

يمثّل مفهوم البرزخ عند ابن عربي نقطة التقاء بين الفلسفة والتّصوّف، حيث يجسّد فكرة الوسيط الذي يجمع بين المتقابلات دون أن يلغي تمايزها. هذا المفهوم يتيح فهمًا أعمق لطبيعة الوجود والمعرفة، ويبرز أهميّة الخيال كقوّة برزخيّة تربط بين المعقول والمحسوس، وتُمكن الإنسان من إدراك الحقائق في صور متخيّلة.

³¹ ابن عربي، 1964، 56.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن عربي، محيي الدين. *فصوص الحكم*. تحقيق أبو العلا عفيفي. بيروت: دار الكتاب العربي، 1964.
- ابن عربي، محيي الدين. *الفتوحات المكيّة، السّفر الأوّل*. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1972.
- ابن عربي، محيي الدين. *الفتوحات المكيّة*. تحقيق عثمان يحيى. القاهرة: دار الكتب العربيّة، 1985.
- بلقاسم، خالد. *الكتابة والتّصوّف عند ابن عربي*. الدّار البيضاء: دار توبقال، 2004.
- بوجديبة، عبد الوهّاب. *اللغة والتّصوّف: دراسة في فكر ابن عربي*. بيروت: دار الطليعة، 1997.
- بيير، لوري. "رمزيّة الحروف في مؤلّفات ابن عربي". *مجلة نزوى* 26 (2001).
- حسين، عبد الرّحمن بدوي. *شخصيّة ابن عربي وأثره في الفكر الصّوفيّ*. القاهرة: دار الفكر العربيّ، 1996.
- الذهبيّ، شمس الدّين. *سير أعلام النّبلاء*. مصر: مؤسّسة الرّسالة، 2001.
- عبد الحميد، شكيل. "دلالة الألفاظ في الكتابة الصّوفيّة ورؤيا الحياذ في برزخ الأحوال". *جسور المعرفة* (2020): 234-218.
- القشيريّ، عبد الكريم. *الرّسالة القشيريّة في علم التّصوّف*. بيروت: دار الجيل، 1995.
- كوربان، هنري. *الخيال الخلاق في تصوّف ابن عربي*. ترجمة محمد بنصالح. بيروت: دار المشرق، 2006.
- محمود، زكي نجيب. *تجديد العقل العربيّ*. بيروت: دار الفكر، 1973.
- موريس، جيمس. "الخيال الإلهي عند ابن عربي". ترجمة أحمد الطيّبي، *مجلة تأويل* 7 (2015): 64.

نصري، نصر حامد أبو زيد. *التجليات الروحية عند ابن عربي*. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2008.

مدخل إلى فكر ابن عربي. القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2000.

Affifi, A.E. *The Mystical Philosophy of Muhyiddin Ibn Arabi*. s.l.: Cambridge University Press, 1939.

Ashraf, SH Muhammad. *Studies in Tasawwuf*. Lahore: s.n.: 1973.

Bashier, Salman H. *Ibn al-'Arabi's Barzakh: The Concept of the Limit and the Relationship between God and the World*. Albany: State University of New York Press, 2004.

Chittick, William C. *The Sufi Path of Knowledge: Ibn al-Arabi's Metaphysics of Imagination*, SUNY Press, 1989.

Corbin, Henry. *Creative Imagination in the Sufism of Ibn Arabi*, s.l.: Princeton University Press, 1969.

Corbin, Henry. *Alone with the Alone: Creative Imagination in the Sufism of Ibn Arabi*. Princeton: Princeton University Press, 1998.

Hirtenstein, Stephen. *The Unlimited Mercifier: The Spiritual Life and Thought of Ibn 'Arabi*. Oxford: Anqa Publishing, 1999.

Izutsu, Toshihiko. *Sufism and Taoism: A Comparative Study of Key Philosophical Concepts*. s.l.: University of California Press, 1984.

Morris, James W. *The Reflective Heart: Discovering Spiritual Intelligence in Ibn Arabi's Meccan Illuminations*. Louisville: Fons Vitae, 1995.

Morris, James Winston. *The Reflective Heart: Discovering Spiritual Intelligence in Ibn Arabi's Meccan Illuminations*, s.l.: Fons Vitae, 2005.

Nasr, Seyyed Hossein. *Knowledge and the Sacred*. s.l.: State University of New York Press, 1989.

Sells, Michael A. *Mystical Languages of Unsayng*. Chicago: University of Chicago Press, 1994.

Stephen Hirstenstein. *The Unlimited Mercifier: The Spiritual Life and Thought of Ibn 'Arabi*. s.l.: Anqa Publishing, 1999.

William Chittick. *The Sufi Path of Knowledge: Ibn al-Arabi's Metaphysics of Imagination*. s.l.: State University of New York Press, 1989.

Pellat, CH. "Ibn Al- Arabi." *The Encyclopedia of Islam, New Edition* 3 (1971): 707-708.

Nicholson, Reynold. *The Mystics of Islam*. London: s.n., 1963.

Lings, Martin. *What Is Sufism*. England: s.n., 1975.

Helminski, Kabir. *The Knowing Heat, A Sufi Path of Transformation*. London: s.n., 1999.

